

العقل يُملي واليد تلبّي في لوحات شارل خوري

فنان لبناني يجابه مآسي وطنه بنثره ألوانا مُبهجة أساسها الخيال



«مساحات متداخلة» لوحة جديدة خض بها شارل خوري «العرب»



طبقات لونية متراكمة، لكنها غير نافرة



مخلوقات تتحرك أمام الناظر إليها، وهي ثابتة

وشارل خوري عضو في صالون الخريف بمتحف نيولاس سراسق منذ عام 1995، كما أنه عضو في الجمعية الدولية للفنون في باريس وجمعية الفنانين اللبنانيين. شارك في معارض تشكيلية منذ بداية التسعينات داخل لبنان وخارجه كما أن له العديد من المعارض الفردية المحلية والدولية.

منعت «أشكاله» وكائناته من أن تتناحر في ما بينها. وبدت يده تتحرك وفق ما يملي عليها العقل بشكل كبير، بعد أن كان الفنان يستنطق عامل الصدفة في بقعة لون أو خط مرسوم عشوائياً، لينطلق اليوم في مهمة ابتكار أشكال الكائنات الخرافية والكهوف والمساحات المحيطة بها.

بالواقع الكثيب، ولكن مُخففاً لظلاله وبرقة تنحو أحياناً كثيرة إلى شيء من الشفافية. ولعل أهم ما يميز لوحاته الجديدة هو أنها تكشف «آلية» عمل الفنان، إذا صحّ التعبير. فمع حضور الطاقة الشعورية فيها إلا أن خوري يبدو أنه وصل إلى نوع من السكينة

وتجاه العالم المحيط. ثم اشغل عالمه الفني بهوموم بيئية، فنمت النباتات من حول كائناته وجرت الينابيع الداخلية التي برع الفنان في إظهارها من تحت طبقات لونية متراكمة، ولكن غير نافرة أو ثقيلة.

ولعب اللون الأبيض الشفاف دوراً كبيراً في القطع والوصل، في الإخفاء والتظهير «متواطفاً» مع اللون الأسود الذي لا يزال ملكاً في لوحاته في تاطير وتفكيك ووصل الأشكال وتشبيكها في بعضها البعض حتى تغيب نقطة البداية التي يُفترض أنه انطلق منها هذا أو ذاك الخط المرسوم.

فوسفورية هادئة

حافظ خوري في أعماله الجديدة ومنها اللوحة التي خصّ بعرضها للعلن للمرة الأولى جريدة «العرب»، على قدرته في إعادة تشكيل عالمه الفني من خلال رصد تحولات واحتمالات جديدة للعناصر التي تتكون منها لوحته، واختلاق لكائنات عجانبة متداخلة، تحاول أن تجد لها مكاناً في فضاء لوحته. وما من شكل رسمه أو يرسمه الفنان اليوم في لوحته إلا ويشي بحياة غريبة تسري حتى زوايا اللوحة. ربما لأجل ذلك يشعر الناظر إلى «مخلوقات» أعماله أنها تتحرك وهي ثابتة أمامه.

أما التحولات في نصه الفني، فهي متابتة من تمكّن الفنان من ابتكار كائنات وأشكال متداخلة طولياً وعرضياً وعميقاً دون أن يؤذي ذلك إلى فوضى بصريّة، أو تؤثر في علاقة الأشكال والكائنات مع بعضها البعض، بل على العكس، فحتى الألوان الفوسفورية التي دخلت إلى لوحاته لتفجر ضمناً وشكلياً أي ترابط دائم بين الأشكال الموجودة أرست بسطوة حضورها هدوءاً مدّ تأثيره على كل مرافق اللوحة، وذلك على عكس عمّا فعله عادة الألوان الفوسفورية.

مساحة لونه الجديدة ازدادت اكتظاظاً وازدحاماً عمّا كانت عليه من قبل دون أن يؤدي ذلك إلى إرهاق للعين الناظرة إليها. كما سكب الفنان اللون الأبيض المائل إلى الرمادي في خلفيات لوحاته بطريقة مغايرة عن معظم لوحاته السابقة، وكان به يذكرنا بكل جميل وأصيل.

عرض الفنان التشكيلي اللبناني شارل خوري مجموعة من لوحاته الجديدة في غاليري «جوزيفين كلافيل» اللندنية، في حين شارك معه في العرض الفنان اللبناني جان مارك نحاس بلوحتين. وقد خصّص جانب من عائدات هذه الأعمال المعروضة لمساعدة المتضررين جراء انفجار مرفأ بيروت.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

عرض الفنان التشكيلي اللبناني شارل خوري مجموعة من أعماله الفنية في غاليري «جوزيفين كلافيل» اللندنية بأحجام مختلفة ومشغولة بمادة الاكريليك، إضافة إلى نماذج من أعماله الختية المُجسّمة التي كعادتها انبثقت لاحقاً من عالم لوحاته.

الفنان اللبناني يتكّر عالماً ثانياً موازياً يستمد معظم مفرداته من أرض الواقع، ولكنه يأبى أن يكون أسيراً له ولأجوائه المأساوية

بالنسبة إلى العديد من الفنانين، الذين لا يهتم ذكر أسمائهم هنا، فإن أعمال الفنان تشكل حالة خارج منطق ما يحدث في لبنان وفي العالم ويصل بعضهم إلى اعتبار أن أعماله «تزيينية» كنوع من تخسيس مهذب للأعمال.

نضج فني

تعبيراً على هذه الآراء، وليس من باب الدفاع عن الفنان ولا عن أعماله الفنية، فهو في غنى عن ذلك، يجب القول إن كان العدد الأكبر من الفنانين ينتجون أعمالاً فنية لاقت استحساناً أوجاعاً من الحروب أو الأزمات التي تمرّ بها بلدانهم، فهذا لا يعني أن الفنانين الذين يختارون طريقاً مختلفاً يعبرون فيه عن عالم آخر مواز أقل عنفاً بكثير أو لا يحمل إلا رموزاً وإشارات طفيفة عن البيئة النفسية والمحيط التي نشأت منها الأعمال هي أقل أهمية. بل تكمن أهميتها في اختراعها لعالم، ربما لم يكن ليكون لو كانت

الأردنية ناديا الخطيب تستعيد شهرزاد الحكايات في لوحات حدائية

تحديد بالألوان لتلك الخطوط، مزج لوني ينحو باتجاه القنطرة ليحبر عن وضعية الجسد الذي يعاني التهميش والإقصاء.

الفنانة الأردنية ناديا الخطيب تعبّر في لوحاتها عن جمال المرأة عبر وضعيات مختلفة ومشاعر متغيرة ومواقف متجددة

بينما يرى المُشاهد في خلفية غالبية هذه اللوحات نوافذ بلون أزرق في إشارة إلى بقاء الباب مشرعاً على التغيير ومفتوحاً على نوافذ الأمل، وهو ما عبّر عنه بوضوح التضاد اللوني بين الأزرق المشرق للنافذة واللون القاتم للجسد ووضعيته في حالة من التأمل والتفكير.

ويبدو أن الخطيب تعبّر عبر هذه النوافذ كما تعبّر من خلالها عن ضرورة الارتقاء للمرأة من تصويرها كجسد يعاني بصمت إلى إنسان يفكر ويتأمل ويتوق إلى التخلص من واقعه الضاغط، وهي في ذلك تحرص على إبراز التوازنات اللونية في لوحاتها، كما تترك النوافذ مفتوحة كدعوة للمرأة إلى التفاعل مع الواقع وتجاوز توتراته والانطلاق نحو الحرية.

لوحات الخطيب تعبّر جمالي وموضوعي عن المرأة في أكثر من وضعية وحركة وشعور، هي بعبارة أدق شهرزاد الحكايات المعاصرة التي تسرد بوميّاتها وأمنياتها بعجينة ألوان حدائية بدل الكلمات التقليدية. فاللون عندها كما الموسيقى لغة عابرة للحدود والخيال.

لوحات الخطيب وهي الرسامة الأثني التي تكسّر بفكرها قبل ريشتها لحضور نسويّ طاغ وفاعل في المشهد المجتمعي العربي، يقلب الأدوار رأساً على عقب، فيستحيل الرجل بغيابه هو المُشْتَهَى والمُنْتَظَر، وتغدو المرأة بحضورها التام في كل اللوحات ويكفل الوضعيات هي الحاكم والمتحكم بامرّه، تستدعيه متى تشاء وتغيّبه كيفما تشاء.

تظهر لوحات الخطيب مشحونة بالأحاسيس والانفعالات باستخدام الخطوط الحادة والهندسية في بعض المواقع، كما في لوحاتها التي تعبّر عن جلوس المرأة في وضعيات تشير إلى الإنسار أو الانعزال والوحدة، حيث التركيز على استقامة الخطوط عند الظهر أو الذراعين أو الساقين، مع

لا يحضر الرجل في لوحات الفنانة الأردنية، إلا لماماً، كلوحة الحبيبين، وما حضوره إلا كملا لسطوة المرأة على اللوحة/الفكرة، فهي هنا المحفزة على الحب بين العشيقيين بمنحها الزهرة لهما، وهي أيضاً في موضع آخر المتحكمة في هذا الغرام، بإشارة من يد الرجل/العشيقي إلى محبوبته كي تمّزّدها لتقطف زهرة تنعمّ عليها بهذا الحب، وكان الخطيب تقول عبر هذه اللوحة/الرمز لرجلها المنتقن «أيتها المخدوع في غطرستك وما شَبّ في ذاكرتك من ذكورية متوارثة، لولاي لما كنت حبيباً، ولما سموت إلى مرتبة العشقاق أصلاً، فانت ملك بيدي وإن فرضت مُلك عليّ».

هو غياب وتغييب مُتعمّد للرجل، تغييب له مبرّره الموضوعي في لكل جميل وأصيل.

وهذه الأفعال المجتمعة، وإن تفرّقت في أكثر من لوحة لم تات لغايات تجميلية أو تزويقية، فهناك وظيفة تؤنّبها هي التعبير عن الحضور الاجتماعي والثقافي للمرأة، والتأكيد على دورها كشريك فاعل للرجل يكتنز بمعاني الأمومة والبدل والاجتهاد. وهو ما يفسّر التركيز على إظهار اليدين في غالبية لوحات الخطيب، كأنما الأم التي تحمل الطفل بين ذراعيها هي الأقدر على حمل مجتمع بأكمله نحو أفق التغيير والانتعاق والتحرّر.

وكان اليد، أيضاً، وهي تحتضن باقة من الورود أو ترتّب على ظهر الجواد أو تمتع زهرة لعشيقيين مُفردين في خلوتهما، هي الأقدر على زرع الجمال في هذا العالم المليء بالقسوة المدمرة لكل جميل وأصيل.

من عجينة قزحية الألوان، أو تجلس على كرسي أحمر، أو تحمل حقيبة يد، وفي جميعها تغدو المرأة سيّدة للوحة ونجمتها.

أنثى الخطيب كحاية ألوان ومعان لجمال المرأة في وضعيات مختلفة تسرد بوميّاتها حيناً وتطلعاتها دائماً. أنثى بكامل جمالها ودلالها، أنثى التناقضات والمفارقات، بين انتصارها وانكسارها، أمالها وألمها، هدونها وصخبها، خضوعها وتمرّدها، وهي في كل هذا امرأة واثقة من نفسها وممّا تريد فعله أو تحقيقه في يومها العديد، ليستحيل يومها لحظات عابرة لكنها معبرة، وبسوّء، عمّا تستطيع إتيانها امرأة واحدة من أشغال متعدّدة ومشاعر متغيرة ومواقف متجدّدة في يوم واحد.

تحفّي أعمال التشكيلية الأردنية ناديا الخطيب بالمرأة التي ترمز إلى الخصب والربيع والأرض والوطن. وتشكل الفنانة ذلك من خلال لوحات تعتمد الجسد فكرة تعبّر عن الأنوثة بمعناها الواسع، لذا تغيب التفاصيل الدقيقة التي تقدّم الجسد وتجلّي أكثر التشكيلات التجريدية الإيجابية.

هذا الغياب لتفاصيل الجسد يُتيح للمتلقي التماهي مع لوحات الفنانة الأردنية ونسائها بشكل حميمي رمزي، لكنه مُغر أساسه التفاعل مع الحركات الانثوية في بوميّاتها الحياتية المعاصرة.

ومن هناك تظهر في إحدى لوحاتها يدان كبيرتان تحتضنان مجموعة من الأطفال كرمز لأمل وطاعة، وفي أخرى فتاة تمسك قفصاً بباب مفتوح بينما العصفور يحط بين يديها كرمز للمطلب الحرية الذي سعت المرأة على مستوى العالم ولا تزال تسعى لتحقيقه خاصة في الوطن العربي المنتصر للذكورية، وفي ثالثة تظهر سيّدة وهي ترتّب على ظهر جواد عربيّ أصيل وما يرمز إليه المشهد من جموح نحو الخيال والسفر، وفي رابعة وهي تتأمل لوحة معلقة على الجدار رُسمت عليها مزهريّة ورود تُناقس في بهائنها جمال الأنثى التي قبّلتها.

وتتسم ألوان الخطيب بالهدوء، فهي ليست صارخة أو حارة، وفي الوقت نفسه ليست معتمة أو كئيبة، وغالبيتها تنتمي إلى البني وتدرجاته بين أصفر ترابيّ وأبيض جيرري ورمادي منتش ببياضه أكثر من سواده، مع استخدام مزج لوني قادر على حمل رسالة اللوحة ومعانيها، كاعتماد ألوان أكثر حدة لإبراز المرأة التي تضع زهرة حمراء على شعرها، أو تمسك باقة ورد



عصفور الحرية يحط على كتف متحرّر



إغراء محتشم



منطلقان معاً نحو الخيال والسفر